



قراءات جديدة في تاريخ عمان قبل الاسلام
Mounir Arbach

► To cite this version:

Mounir Arbach. | قراءات جديدة في تاريخ عمان قبل الاسلام. Nizwa, 2024, 119, pp.55-65. <hal-04672060>

HAL Id: hal-04672060

<https://hal.science/hal-04672060v1>

Submitted on 17 Aug 2024

HAL is a multi-disciplinary open access archive for the deposit and dissemination of scientific research documents, whether they are published or not. The documents may come from teaching and research institutions in France or abroad, or from public or private research centers.

L'archive ouverte pluridisciplinaire **HAL**, est destinée au dépôt et à la diffusion de documents scientifiques de niveau recherche, publiés ou non, émanant des établissements d'enseignement et de recherche français ou étrangers, des laboratoires publics ou privés.



HAL Authorization

قراءات جديدة في تاريخ عمان قبل الإسلام : بين القصص والتاريخ

الأستاذ الدكتور منير عربش
المركز الفرنسي للأبحاث في شبه الجزيرة العربية

تمهيد

أغنت الاكتشافات الأثرية في سلطنة عمان في العقدين الأخيرين معارفنا حول عصور ما قبل التاريخ وخاصة العصر الحجري الحديث والعصر البرونزي، والتي تميزت بظهور مواقع الاستيطان والمدافن ذوات الأبراج في بواكير العصر البرونزي في الألف الخامس-الرابع قبل الميلاد تقريباً، وقد رافق هذا العصر نمو العلاقات التجارية بين بلاد الرافدين والهند وفارس وشبه جزيرة عمان المعروفة في النصوص الأكادية باسم مجان، التي كانت المصدر الأول للنحاس حينذاك، وتعرضت مجان لحملات عسكرية أرسلها ملوك أكاد في الهلال الخصيب خلال الألف الثالث ق.م. وذلك بهدف السيطرة على مناجم النحاس والطريق التجاري الذي يربط جنوب بلاد الرافدين بشبه جزيرة عمان، وتحسنت العلاقات في نهاية الألف الثالث حيث أرسل ملك مجان - لم يذكر اسمه - بهدايا إلى ملك أكاد وصلت إلى ميناء أور بمراكب تم تصنيعها في مجان (كلوزيو وتوزي ٢٠٠٧ - Cleuziou & Tosi 2018). استمرت العلاقات التجارية بين شبه جزيرة عمان والهلال الخصيب في الألف الأول قبل الميلاد المعروف بالعصر الحديدي (١٣٠٠-٣٠٠ ق.م.). فمن عهد آشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق.م.) لدينا لوح طيني بالخط المسماري يذكر "...ملك قادي الذي يقيم في إزكي" (Lombardi 2015 : 21-34)، وهي في أكثر الاحتمالات منطقة إزكي حالياً، والتي لا يستبعد أن تكون مدينة سلوت القديمة في بسيا بالقرب من إزكي، المتميزة بأسوارها المنمقة وبحصنها وابنيته العديدة المنتشرة والفسيحة وبأدواتها الفخارية والبرونزية المنزلية (Avanzini & Esposti 2018).

ونعرف اليوم أنه خلال سيطرة الفرس على الشرق الأدنى (القرن السادس-الرابع ق.م.)، ورد ذكر مجان بين أسماء الأمم المتحالفة مع الفرس أو ضمن قوقعتها، في نقش مكتوب بثلاث لغات (فارسية-عيلامية-آشورية قديمة) في قاعدة تمثال داريوس الأول (٥٢٢-٤٦٨ ق.م.)، حيث تم نسخ اسم مجان باللغة الفارسية مكا/مزون (Maka/Mazun) وفي الهيروغليفية مجا (Maga). يظهر من هذا النص دخول شبه جزيرة عمان في القوقعة الفارسية، على الأقل ضمن تحالفات الإمبراطورية الفارسية.

وأثمرت أيضاً التنقيبات الأثرية في شبه جزيرة عمان إلى تحديد التسلسل الزمني لنهاية العصر البرونزي وبداية العصر الحديدي في حوالي ١٣٠٠ ق.م. - بفضل التنقيبات في سلوت ودبأ وسمد ومليحة والدور، الخ، (الجهوري ٢٠٢١، ص ٥١-٥٩) ويشكل هذا العصر فترة انتقالية نوعية وخاصة في النظام المعماري والفني - المدن بأسوارها ومبانيها الرسمية والخاصة - واستخدام الفخاريات والأدوات المنزلية المعدنية من البرونز والنحاس والأسلحة كالسيوف والخناجر، وتميز هذا العصر الانتقالي في بواكير الألف الأول قبل الميلاد بتدجين الجمل وظهور نظام الأفلاج وانتشار الأبجديات في الشرق الأدنى وفي شبه جزيرة العرب، الذي رافقه ظهور الكيانات السياسية ومدن القوافل في الواحات وعلى ضفاف الأودية، كما هو الحال في شمال غربي جزيرة العرب - تيماء وأدوماتو والعلا - وفي جنوب جزيرة العرب، حيث نشأت ممالك سبأ ومعين وقتبان وحضرموت التي ازدهرت بفضل تجارة اللبان والبخور مع الشرق الأدنى والهند وسواحل شرق البحر الأبيض المتوسط واليونان.

تزداد اليوم معارفنا الاثرية غنىً بظهور نتائج التنقيبات الاثرية السنوية التي تؤكد ما ذكرته المصادر الأكاديمية والآشورية على دور شبه جزيرة عمان في العلاقات التجارية مع بلاد الرافدين والهند وفارس. بالرغم من هذه الاكتشافات الأثرية المهمة فإن معارفنا التاريخية المباشرة ما زالت حتى اليوم نادرة جداً ولا يعرفها إلا المختصون، وهي عبارة عن عدد محدود من النقوش - المصدر الرئيسي لكتابة تاريخ عمان قبل الإسلام - التي تذكر شخصيات وأحداث تاريخية، ومن ضمن المصادر التاريخية النقود التي تحتوي على أسماء ملوك ورموز آلهة. بسبب شح هذه المصادر التاريخية المباشرة ما زالت القصص وكتب الأخبار المرجع الرئيسي والوحيد في تقديم عرض ملحمي لتاريخ عمان قبل الإسلام يدور بشكل رئيسي حول شخصية مالك بن فهم الأزدي البطولية وقبيلة الأزدي، التي بحسب كتب الأخبار وصلت من اليمن بعد انهيار سد مارب، والتي بفضلها استقر العرب في عمان وانحدر منها عائلات وشخصيات معروفة كالجلندي التي حكمت عمان قبيل الإسلام (العوتبي، ج ٢، ص ٧١٩-٧٢٣، السيابي، إسعاف الأعيان، ١٠٩، ١١٨ - البرطمانية ٢٠١٥: ٢٢-٢٣، ٣٠-٣٦).

إن اكتشاف شاهد قبر بالخطين العربي الجنوبي "المسند" والآرامي خلال التنقيبات الاثرية في موقع المليحة في الشارقة عام ٢٠١٦ صاحبه "مفتش/جايي لدى ملك عمان" يعود الى الربع الأخير من القرن الثالث ق.م. (٢٢٢-٢٢١ ق.م.) (Overlaet et al. 2016 : 127-142) (الشكل ١)، بالإضافة إلى ذلك العثور على مجموعة عملات في أكثر الاحتمالات عليها أسماء ملوك عمان حكموا ما بين القرن الثالث ق.م. والثالث الميلادي (Macdonald 2010 : 409-417)، يدعوننا إلى تقديم قراءات تاريخية جديدة وموثقة لتاريخ عمان قبل الإسلام بعيدة عن الروح القصصي والملحمي الذي من الصعب اثباته تاريخياً وأثرياً. من ناحية أخرى، يمكننا اليوم بفضل عدد من النقوش العربية الجنوبية التي وصلتنا من مملكة سبأ بتتبع نشوء قبيلة الأزدي/الأسد ومنازلها منذ ظهورها في حوالي القرن الأول الميلادي وحتى اندثار ذكرها في المصادر النقشية في القرن الرابع الميلادي (Schiettecatte & Arbach 2016 : 179-181).

وأما شخصية مالك بن فهم الأزدي وقصة وصوله إلى عمان وطرده الفرس وإشكالية تحري أحداثها تاريخياً، فاستكشف نقش نبطي جنوب سوريا صاحبه "جديمة ملك تنوخ" من القرن الثالث الميلادي تقريباً، يدعوننا أيضاً إلى قراءة جديدة للمصادر العربية التي كانت تخيم عليها الشكوك حول موضوع شجرة أنساب القبائل العربية قبل الإسلام والهجرات العربية وخصوصاً الأزدي وغسان من اليمن إلى بلاد الشام والعراق وعمان (Ulrich 2019) موضوع هذه المقالة تقديم عرض وتحليل المصادر التاريخية المباشرة حول تاريخ عمان قبل الإسلام منذ نشوء مملكة عمان في القرن الثالث ق.م. وحتى اندثارها في القرن الثالث- الرابع الميلادي، وذلك في محاولة تقديم تسلسل زمني للأحداث وعلاقتها مع جيرانها أي الامبراطوريتين اليونانية والفارسية ومملكة حِمير (القرن الرابع-السادس الميلادي)، وأيضاً الرجوع إلى المصادر التاريخية لقبيلة الأزدي التي ارتبطت بها ارتباطاً وثيقاً ملحمة مالك بن فهم الأزدي.

الإطار السياسي في شبه جزيرة عمان في القرن الثالث ق.م.

كما ذكرنا أعلاه سيطر الفرس على الشرق الأدنى خلال قرنين (السادس-الرابع ق.م.)، وفي أكثر الاحتمالات دخلت منطقة شرق جزيرة العرب تحت المظلة الفارسية وذلك من خلال سيطرتها على الخط التجاري (Avanzini 2010). كانت شبه جزيرة عمان حينذاك تشكل مملكة مركزها الإداري منطقة إزكي المعروفة حتى يومنا هذا، وهي مذكورة تحت الاسم مملكة "مكا" "مجان" في النصوص الأكاديمية ضمن الأمم الصديقة للفرس في نقش على قاعدة تمثال داريوس. وهذا هو النص الوحيد الذي يذكر فيه شبه جزيرة عمان في عصر السيطرة الفارسية على بلاد الرافدين والشام ومصر (Lombardi 2015)

رحلت فارس من الشرق الأدنى وحل محلها اليونان في عصر الإسكندر المقدوني الأكبر الملقب في المصادر العربية بـ "الإسكندر ذو القرنين" والذي ختم حملاته العسكرية بالسيطرة على فارس عام ٣٣٠ وبابل ٣٢٣ ق.م. قبل وفاته في نفس العام، وقد أرسل الإسكندر الأكبر إلى بحر العرب إلى جزيرة سقطرى حملة استطلاع بهدف السيطرة على طريق البخور ومناطق انتاجه، ويذكر بليني الأكبر في كتابه التاريخ الطبيعي بأن أنطيوخس الأول (٢٨١-٢٦٠ ق.م.) أرسل أسطولاً إلى الخليج العربي وصل إلى رأس المسند (Asabon Pom) وذلك بهدف أخذ نصيب من التجارة المثمرة من البخور واللبان والمرّ والاحجار الكريمة. وأما أنطيوخس الثالث (٢٢٣-١٨٧ ق.م.) فقام بحملة عسكرية عام ٢٠٥ ق.م. على حاضرة الجرهاء محاولة لزعتها لأنها أصبحت محطة تجارية مهمة وانتهت الحملة بدفع اناوة كبيرة من البخور والفضة والمرّ واللبان الذي كان يصل من ظفار عمان وحضرموت.

تأثرت جزيرة العرب بهذه التغيرات السياسية وخصوصاً في شرق جزيرة العرب وفي شبه جزيرة عمان، حيث تم تفعيل الخط التجاري الذي كان يربط شرقي جزيرة العرب بجنوبها مع جزيرة المصيرة وظفار وحضرموت، وظهرت مدن ممالك جديدة كالجرهاء في الهفوف/الإحساء وتيلوس في البحرين ومملكة عمان التي كانت مراكزها في مليحة وميناؤها في دبا والدور (الشارقة اليوم). ومن ناحية أخرى، نعرف اليوم بأن مدينة سلوت القديمة الواقعة بالقرب من إزكي قد هجرت في حوالي ٣٠٠ ق.م. ويمكننا ربط هذا الحدث بانتقال المركز الإداري لشبه جزيرة عمان إلى المنطقة الشمالية عند مدخل الخليج العربي حيث نشأ الخط التجاري الجديد الذي يربط بحر العرب - عبر خور روي (ظفار) وقانا (حضرموت) (Avanzini 2019) - مع بلاد الرافدين وفارس والهند. ونعرف أيضاً بفضل التنقيبات الأثرية في موقع خور روري في محافظة ظفار (سمهرم قديماً) بأنه تم انشاء هذا الميناء في حوالي القرن الثالث ق.م. من قبل تجار حضارمة وإلى هذه المرحلة يمكننا تأريخ وصول خط المسند إلى ظفار، وأيضاً إلى شرق جزيرة العرب بفضل التجار السبئيين الذين أقاموا علاقات تجارية مع جنوب بلاد الرافدين "السلوقيين" ومع مملكة الجرهاء بشكل خاص، مروراً بواحة نجران وقرية الفاو، التي نشأت أيضاً في حوالي القرن الثالث ق.م.

ليس من المستبعد أن تجار جنوب شبه جزيرة العرب وأواسطها - السبئيين والمعينيين ونجران وقرية الفاو والأنباط فيما بعد - قد لعبوا دوراً مهماً في القرن الثالث-الأول ق.م. بإدخال خط المسند وأيضاً من خلال احتكاك تجار من شرق جزيرة العرب بقبائل عربية أخرى من جزيرة العرب لاحظ علماء الآثار ظهور ثقافة معمارية جديدة خاصة في شكل المدافن كما هو الحال في مليحة والدور والتي نجدها أيضاً في قرية الفاو والبتراء وهي تختلف عن أخواتها في مواقع عمان الداخلية - سمد، سلوت، الخ - ، مكونة بذلك أوائل الهجرات العربية إلى شرق جزيرة العرب وشبه جزيرة عمان في القرون الأولى التي سبقت العهد الميلادي (97-88, 99-87 : Mouton & Schiettecatte 2014) .

أول نقش يذكر مملكة عمان

حتى وقت قريب كانت معارفنا التاريخية نادرة جداً حول تاريخ شبه جزيرة عمان في النصف الثاني من الألف الأول ق.م. فكانت عبارة عن بعض النقوش القبورية بخط المسند بلغة شرقي جزيرة العرب أي الحسانية - منطقة الإحساء شرقي المملكة العربية السعودية - وبالآرامية التي كانت اللغة الدبلوماسية في الشرق الأدنى خلال سيطرة الإمبراطورية الفارسية، ونعرف أيضاً من خلال هذه النقوش بأن المعبودة العربية اللات كانت على ما يبدو إلهة رئيسية إلى جانب شمس في مملكة عمان قديماً. وكانت تعتمد أيضاً على مجموعة من النقود اليونانية التقليد والتي يمكن تأريخها إلى القرون الثلاثة قبل الميلاد ولكن مع أسماء ملوك وآلهة عربية - أبي إيل، أبي نثع والمعبودة شمس (Macdonald 2010 : 409-413) .

وفي عام ٢٠١٦ قام الفريق البلجيكي للآثار في موقع مليحة (امارة الشارقة) باكتشاف نقش قبر صاحبه "عمود بن جرّ بن علي مفتش لدى ملك عمان، شيد له ابنه عمود بن عمود مفتش م(لك عمان...)" والنقش بالخط الأرامي مؤرخ سنة ٩٠ أو ٩٧ تقويم سلوقي أي ٢١٤/٢١٥ ق.م. أو ٢٢١/٢٢٢ ق.م. من الصعب معرفة ما إذا كان موقع المليحة مكان العثور على النقش عاصمة مملكة عمان قديما أو أن صاحب النقش عمود بن علي كان بمهمة في المدينة حيث تم دفنه أو أنه كان في مقر وجود الملك. من الدلائل التي تدعونا إلى اعتبار مليحة المركز السياسي لشبه جزيرة عمان قديما هو العثور على قالب لصك العملات، ونعرف أن صك العملات هو رمز من رموز السلطة السياسية لمملكة ما ولا يتم ذلك إلا بإشراف ملكي، فالعثور على هذا القالب في مبنى كبير شيد من اللبن مكون من عدة غرف وساحة مبلطة بالمرمر، اعتبره علماء الآثار بأنه قصر ملكي، يدعونا أيضا إلى اعتبار مليحة المركز السياسي لمملكة عمان وعلى الأقل أحد مراكزها الاستراتيجية بالإضافة إلى مينائي دبا والدور (Mouton & Schiettecatte 2014 : 47-65).

يوجد لدينا اليوم دليل تاريخي آخر لوجود مملكة عمان وعلاقتها مع جنوب-غربي جزيرة العرب بفضل نقش آخر غير منشور من القرن الثالث ق.م. عثرت عليه البعثة الفرنسية عام ٢٠١٧ في مواقع آبار حمى في واحة نجران (المملكة العربية السعودية)، يشير النقش بأن مملكة عمان كانت تقيم علاقات تجارية/دبلوماسية مع مملكة نجران التي كانت تحت سيطرة قبيلة أمير العربية. ها هو مضمون النقش الجديد "نحاس ذو آل عمان زار وحلّ عند أبي يثع غيلان وقبيلته". الجدير بالذكر هنا بأن أبي يثع المذكور هنا هو معروف جيدا في النقوش العربية الجنوبية التي وصلتنا من وادي الشظيف (اليمن) (Kortler 6a, 6b) ومن نجران (Ja 1012m, 1013j) ومن قرية الفاو (F/4923) حيث حكم ابنه في حوالي القرن الثاني ق.م. (Said 2018 : 404-411)، وهو مذكور أيضا على عملات عثر عليها في قرية الفاو (F1/466, F9/114) والجرحاء ومليحة (Macdonald 2010 : 409-413).

يمكننا اليوم ربط زيارة أحد أعيان عمان إلى ملك نجران أبي يثع بوجود عملات تحمل نفس الاسم في مليحة وقرية الفاو وشرقي جزيرة العرب خاصة في موقع الجرحاء في الهفوف التي وصلنا منها عشرات النقوش باللغة العربية الحسانية (Said 2019) ومجموعة غنية من النقود التي يحتوي بعضها على الاسم أبي يثع، من ناحية أخرى نعرف بأن وهب ذو سماوي ابن أبي يثع حكم في الفاو على رأس مملكة تضم قبيلتي نجران الرئيسيتين وهما أمير ومهامر وقبيلة ذكير التي كانت على ما يبدو في قرية الفاو في حوالي القرن الثاني ق.م. (Said 2018 : 11-20).

بعد هزيمة السلالة السلوقية على يد الرومان عام ١٨٨ ق.م.، سيطر الرومان تدريجيا على الشرق الأدنى ومصر ولم يتوانوا بمتابعة نفس سياسة اليونان بالسيطرة على طرق التجارة البرية والبحرية وخاصة طريق القوافل الذي يربط ارض اللبان في جنوب جزيرة العرب (ظفار وحضرموت) مع الهند والبحر الأحمر وسواحل شرق المتوسط ومصر. وضمن هذه السياسة التوسعية أرسل أغسطس حاكم مصر حملة عسكرية بقيادة أليوس جالوس وبالتعاون مع دليل نبطي وبمشاركة جنود أنباط ويهود (٢٦-٢٥ ق.م.) إلى ممالك جنوب جزيرة العرب المعروفة بالعربية السعيدة وذلك للسيطرة على طريق قوافل البخور (عربش وشيتيكات ٢٠٢٠). بالرغم من وصول الحملة إلى أراضي ممالك معين وسبأ وقتبان دون النجاح بالوصول إلى أرض اللبان في حضرموت، ولكنها لم تنجح عسكريا فلقى عدد كبير من الجنود حتفهم بسبب الحر والعطش والمرض بالإضافة إلى صمود مأرب عاصمة سبأ أمام الحملة الرومانية التي تم حصارها مدة ستة أيام وفكه بسبب فقدان مياه الشرب. ولكن بفضل هذه الحملة التي نقل تفاصيلها الكتاب اليونان والرومان - سترابو وبلييني الأكبر وكتاب الطواف وبطليموس، الخ - بدأت التجارة البحرية في البحر الأحمر تحل تدريجيا محل القوافل التي كانت تعبر جزيرة العرب محملة باللبان والبخور والمز.

الجدير بالذكر هنا بأن مؤلفات الجغرافيين الكلاسيكيين لهذه الفترة (القرن الأول-الثالث الميلادي) مصدر مهم أيضا في كتابة تاريخ جزيرة العرب وشرقها بشكل خاص من خلال ذكر أسماء الأماكن والملوك وأيضا الحياة الاجتماعية

والاقتصادية فيها وخاصة تجارة اللبان. فيذكر مثلاً بليني الأكبر مناطق وجود شجرة البخور وكيفية استخراجها واستخداماته في حضرموت وميناؤها قانا وظفار في عمان التي تذكر لأول مرة في المصادر اليونانية وميناؤها (Moscha) موسكا (خور روري حالياً، سمهرم قديماً). كما يصف كتاب الطواف حول البحر الأريتيري أيضاً أرض ظفار منتجة اللبان وكيف كان ينقل عن طريق ميناء قانا إلى أرض "عمانا" عبر خليج عمان ومينائه Moscha خور روري حالياً. ويذكر كتاب الطواف أيضاً جزيرة مصيرة (Sarapis) بأن سكانها كانوا عرباً، ثم ينتقل إلى شمال شبه جزيرة عمان عند مدخل الخليج العربي حيث يوجد سوق "عمانا" (كتاب الطواف، ص ٥١-٥٤)، وإلى خليج "عمانا" يشير بطليموس في القرن الثاني للميلاد بأنه كان موطن العمانيين.

كانت العلاقات بين فارس الفارثية والسلوقيين في نزاع دائم في بلاد الرافدين حيث انفصلت سلالة أرساكيس عن السلطة الفارثية عام ٢٥٠ ق.م. وفي أواسط القرن الأول ق.م. أصبحت ستيفون على ضفة نهر دجلة الغربي عاصمة الفارثيين وأدت الحروب الرومانية المتتالية ضد السلوقيين والفارثيين في بلاد الشام والرافدين إلى اضعاف السلوقيين مما دفع أردشير الأول (٢٢٤-٢٤١ م) إلى قتل الملك البارثي أرتبانوس الرابع وصعود السلالة الساسانية للحكم في فارس واتخاذ ستيفون عاصمة لها في الربع الأول من القرن الثالث الميلادي.

شرق جزيرة العرب وعمان خلال العصر الساساني (٢٢٤-٦٥١ م)

زعزع وصول السلالة الساسانية الكيانات السياسية في شرق جزيرة العرب وفي شبه جزيرة عمان بشكل خاص. إذ شن أردشير الأول حملة على إقليم البحرين وعمان وعين ابنه شابور حاكماً على البحرين وبنى الخط وتابع ابنه شابور نفس السياسة التوسعية فقام بحملة عسكرية على جنوب الخليج العربي وبنى الحيرة جنوب العراق التي أصبحت عاصمة للخمين (المناذرة) وأول ملوكها عمر بن عدي حليف الفرس، فكان بنو لخم أوصياء على قبائل شرق جزيرة العرب يدفعون الضرائب كما هو الحال عند الغساسنة حلفاء بيزنطة. وفي عام ٣٠٩ م تزعت السلطة الفارسية عند وفاة هرمز الثاني وفراغ العرش بانتظار سابور الملقب ذو الأكتاف الذي كان طفلاً، طمح امرؤ القيس بتوحيد العرب وإنشاء دولة عربية فشجع قبائل شرقي جزيرة العرب في إقليم البحرين - عبد القيس وبنو بكر بن وائل من ربيعة وتميم - للهجوم على سواحل فارس فعبروا الخليج بالسفن إلى سواحل أردشير وغلبوا على أهل فارس. ولما ترعرع ذو الأكتاف وبلغ ١٦ عاماً شرع إلى استرجاع حدود امبراطورية أسلافه فأرسل جيوشه إلى البحرين يقتل أهلها ثم ورد مدينة هجر فيها أعراب تميم وبكر بن وائل وعبد القيس وسفك دماءها، ثم عطف إلى بلاد عبد القيس فأباد أهلها، ثم أتي اليمامة فقتل من وجد فيها من العرب (تاريخ الطبري والكمال لابن الأثير). من ناحية أخرى، أظهرت الحفريات في مواقع في شبه جزيرة عمان في مليحة طبقات الرماد نتيجة حرق المدينة ودمارها وأيضاً موقع الدور الذي تعرض للدمار في القرن الثالث الميلادي في عهد أردشير الأول (98 : Mouton & Schiettecatte 2014)، وإلى هذا العصر يعود تاريخ هجران عدد من المواقع الرئيسة في شرق جزيرة العرب التي كانت مراكز ممالك كالجرهاء ومليحة والدور والبحرين (القرن الثالث-الرابع الميلادي) (صراي ٢٠٠٥). وإلى هذه الفترة أيضاً يعود أفول دور ميناء خور روري /ظفار في تجارة اللبان تدريجياً كما هو الحال في موقع قرية الفاو التي هجرت أيضاً في حوالي القرن الرابع للميلاد . وهكذا أصبحت قبائل شرق جزيرة العرب وأبرزها عبد القيس تحت سلطة ملوك لخم (مملكة تنوخ) التي كانت حليفة فارس حتى ظهور الإسلام. وهذا ما يؤكده اليوم نقش جديد مؤرخ عام ٤٧٤ م تم العثور عليه في موقع مأسل الجمح شرقي الرياض من عهد الملك الحِمَيري شرحبيل يكف (٤٧٤ م) يذكر حملة عسكرية في أرض فارس ضد ملك تنوخ عمر بن الأسود وحلفائه قبائل عبد القيس وإياد في مدن الخط في أرض فارس (Prioretta & Arbach 2016). بمعنى آخر تنافست إمبراطوريتي فارس وبيزنطة على جذب القبائل العربية المحاذية لحدودها غسان في بلاد الشام

ولخم في العراق وأما مملكة حمير فكانت مسيطرة على قبائل أواسط جزيرة العرب عندما قام ملوكها في القرن الرابع الميلادي بإضافتهم للقب الملكي "ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعراب طود وتهامة"، فأوصت ملوك كندة على قبائل أواسط جزيرة العرب أهمها معد وطبي، الخ.

السؤال الذي يطرح نفسه الآن حول حوادث القرنين الثالث والرابع عند وصول ساسان الفرس للعرش وحملاتهم العسكرية ضد مدن وإمارات شرق جزيرة العرب : أين قبيلة الأزد الغائبة تماماً في المصادر العربية والنقشية في هذه الاحداث التاريخية المهمة وما هي ماهية وحقيقة الدور الذي أعطي إليها في طرد الفرس من شبه جزيرة عمان ؟ وفي أي عصر بالتحديد ؟

إذا اعتمدنا على المصادر المباشرة كالنقوش الآرامية والعربية الحسائية من الجرهاء أو الفارسية والمنقولة الى العربية التي بين أيدينا اليوم (الطبري بشكل خاص)، فلا يوجد أي ذكر لقبيلة الأزد/الأسد في أحداث الإمبراطورية الساسانية ودورها في شرقي جزيرة العرب (القرن الثالث-السادس م)، وكما ذكرنا أعلاه كان شرق جزيرة العرب تحت المظلة الفارسية وبوصاية المناذرة وذلك حتى ظهور الإسلام وسقوط فارس عام ٦٥١ م على يد الفاتحين المسلمين.

تتفق المصادر العربية وبشكل خاص المصادر العمانية بأنه في القرن السادس الميلادي كانت فارس مسيطرة على سواحل شبه جزيرة عمان وأما المناطق الداخلية فكانت تحت حكم آل الجلندی الذين ينحدرون من الأزد (البرطمانية ٢٠١٥)، ونفس الأمر فإن الفرس تدخلوا في اليمن في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي عند انهيار مملكة حمير تحت حكم أبرهة الحبشي حوالي ٥٦٥ م.

تبقى لدينا فرضية طرد الفارثيين أي الفرس من شرق جزيرة العرب وقت ضعفهم في القرنين الأول والثاني للميلاد بسبب صراعاتهم مع السلوقيين في بلاد الرافدين والسكوثيين في الشمال وملوك الطوائف التي زعزعت فارس قبيل وصول السلالة الساسانية في عهد أردشير الأول (٢٢٤-٢٤١ م). من المعروف بأن تأثير الفارثيين في شرق جزيرة العرب في العصر الهلستيني السلوقي كان شبه معدوم. وأما تأثيرهم خلال سيطرتهم على الشرق الأدنى (القرن السادس-الرابع ق.م). فكل ما نعرفه بأن مجان/مكا (عمان حالياً) كانت ضمن الأمم التي دخلت تحت المظلة الفارسية ولا يوجد أي دليل نصي لوجود الفرس في شبه جزيرة عمان في هذه الفترة ، وبدون شك العلاقات التجارية لم تتوقف بين شطي مضيق هرمز طوال هذه العصور وتوجد تأثيرات مادية وصلت من غرب إيران والبحرين في العصر الحديدي منها أنواع من الفخار ورؤوس السهام (الجمهوري ٢٠٢١، ص ٥١-٥٤).

لكل هذه الأسباب مجتمعة، من الصعب اليوم القبول بفكرة طرد الفرس من عمان في الوقت الذي وصل فيه الفرس الساسانيين إلى شرق جزيرة العرب وثبتوا سيطرتهم من خلال الحملات العسكرية المتتالية التي أنهت وجود ممالك عمان والجرهاء والبحرين وغيرت خريطة الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع للميلاد.

وإذا تتبعنا في المصادر العربية في تاريخ ملوك بنو لخم في الحيرة فإن جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم الأزدي الشخصية التاريخية (١٨٠-٢٦٧ م) - ورد اسمه في نقش أم الجمل حيث يذكر "هذا شاهد قبر فهر بن ساري قائد جذيمة ملك تنوخ" من القرن الثالث الميلادي تقريباً - كان على ما يظهر من أوائل ملوك الحيرة (العوتبي، ج ٢، ص ٧٢٤-٧٢٩)، وكما ذكرنا أعلاه فإن ملوك الحيرة كانوا حلفاء فارس وأوصياء على قبائل العرب خاصة في شرقي جزيرة العرب، وتذكر نفس المصادر بأن مالك بن فهم (١٢٠-٢٠٧ م) قد حكم أيضاً في بادية العراق وسورية (ابن الكلبي، الطبري، المسعودي، الخ). ولكن المصادر العمانية وأقدمها العوتبي في كتابه الأنساب (٤٤٠-٥١٢ هـ/١٠٤٩-١١١٩ م) تعطي رواية أخرى لقصة مالك بن فهم الأزدي ووصوله إلى عمان من اليمن وطرده الفرس (العوتبي، الأنساب، ج ٢، ص ٦٧٨-٦٩٣)، وقد تبعه في ذلك كل الإخباريون والمؤرخين العمانيون (السالمي، السيابي، الهنائي، الإزكوي، الخ).

لن نتطرق بالتفصيل لهذه الملحمة فقد قام الباحث حمد صراي بدراسة نقدية شاملة حلل فيها المصادر وإشكالات الأحداث وسياقها التاريخي والجغرافي (صراي ٢٠١٥: ١٠٩-١٦٢). وكما سنرى لاحقا فإن النقوش التاريخية لقبيلة الأزد/الأسد (القرن الأول-الرابع للميلاد) من الصعب مطابقة مضمونها مع أحداث ملحمة مالك بن فهم التي تناقلتها المصادر العمانية.

قبيلة الأزد في النقوش العربية الجنوبية

قبيلة الأزد - في اللغة السبئية "أسدن / أسد / الأسد" وفي العربية الأزد/الأسد - غنية عن التعريف فهي مذكورة منذ القرون الأولى الميلادية في النقوش السبئية والحضرية وفي المصادر العربية (.). إن أقدم ذكر لهذه القبيلة موجود في نقش سبئي (YM 10703) من وادي الشظيف في اليمن - بين وادي الجوف وواحة نجران - صاحبه نقذ مهمة (غير محددة في النقش) في أرض الأزد. وآخر ذكر لها موجود في النقش السبئي الموسوم (Abadān 1/16) والمؤرخ في 360 الميلادي. يذكر هذا النقش الأخير فصيلتين من الأسد وهما "صديان ورسن" قد هزماه الملك الحِميري ثاران ينعم في عسير تهامة.

لدينا اليوم دليل مهم على موطن قبيلة الأسد من خلال النقش السبئي (جام ٦٣٥) من معبد أوام في مأرب، حيث ورد ذكر الحرب التي قادتها قوات شاعر أوتار ملك سبأ وذو ريدان ضد ملك كندة وقحطان وسكان قرية ذات كهل (قرية الفاو حاليا) (٢١٥-٢٢٠ م). دارت المعركة "على حدود منطقة الأسد، عند نقطة العبور عند بئري ذي الشمال" التي يمكن تحديدها على بعد ٥١ كم شرقي بيشة، أو في وادي ثمالة، 31 كم جنوب شرقي الطائف، ومن غير المرجح أن تكون قوات السبئيين قد انخرطت في قتال ضد الكنديين وسكان قرية الفاو على هذه المسافة البعيدة من الموقع.

يمكننا اليوم تحديد منازل قبيلة الأسد/الأزد إلى الغرب من بيشة في منطقة عسير، في المرتفعات الجنوبية-الغربية من المملكة العربية السعودية حاليا، على امتداد منطقتي الباحة وعسير حاليا. وربما كانت أراضيهم هي نفسها التي كانت تابعة لقبيلة "أزد سراة" قبيل الإسلام، التي تمتد من بيشة إلى سواحل تهامة وحدودها جنوبا موقع النماص تقريبا ومن الشمال هو مدينة الباحة حاليا (STRENZIOK 1960). ومن الجدير بالذكر هنا أن ابن الكلبي قد ذكر أن "ذو الخلاصة" كان أحد آلهة أزد سراة قبل الإسلام ومعبد في تبالة الذي يبعد حوالي 40 كم غرب بيشة و 75 كم جنوب-غرب الثمالة، (انظر كتاب الأصنام).

لقد ظهرت قبيلة الأسد/الأزد في القرن الثالث الميلادي كمملكة مستقلة يحكمها ملكا، ولعبت دورا مهما على الساحة السياسية لممالك جنوب شبه الجزيرة العربية. وقد تم العثور في موقع العقلة بالقرب من شبوة عاصمة مملكة حضرموت قديما، في المكان الذي كان يتم فيه حفل تتويج ملوك حضرموت في القرن الثالث الميلادي، على ثلاثة نقوش تشير إلى وجود الأسديين في حضرموت. ومن بين هذه النقوش يعتبر النقش جام ٩٥٧ ذا أهمية خاصة لأن صاحبه "عمر بن عوف الأسدي"، ويذكر النقش أيضا يدع إيل بيان ملك حضرموت (حوالي 225 - 255 م) باعتباره أنه "صهره" أو "حليفه بالمصاهرة". إن التحالف بالمصاهرة بين يدع إيل بيان وإحدى نبلاء قبيلة الأسد، ابنة عمر بن عوف، يكون منطقيا إذا اعتمدنا على الترجمة التي اقترحتها العاملة الفرنسية جاكين بيرين لنقش آخر من موقع العقلة يذكر فيه "رب شمس نبيل/من أخيار قبيلة الأسد، ابن يدع إيل بيان ملك حضرموت". من المحتمل أن يكون هذا النبيل أحد آخر ملوك حضرموت (حوالي 300 م). فالتقارب الوثيق بين قبيلة الأسد العربية وبين القوى الحضرمية واضح ولا شك فيه.

أما فيما يتعلق بالعلاقات بين قبيلة الأسد ومملكة سبأ، فإنها كانت وطيدة، فقد أرسل اليشرح يحضب (الثاني) ملك سبأ وذو ريدان (حوالي 235 - 255 م) سفارة "ملوك قبائل غسان والأسد ونزار ومذحج"؛ وبعد ذلك بسنوات قليلة، أرسل نفس الملك اليشرح يحضب وأخوه يأزل بيان بعثة دبلوماسية إلى "ملوك إقليم الشمال، الحارث بن كعب ملك الأسد ومالك بن بداء ملك كندة ومذحج والعرب الآخرون". وفي نفس المرحلة، حوالي ٢٦٠ للميلاد، أرسل أعيان قبيلة همدان السبئية سفارات إلى الكيانات السياسية المهمة في شبه جزيرة العرب تضم الأسد/الأزد (عربش وشيتيكات ٢٠٢٤).

وفي أوائل القرن الرابع الميلادي أرسل الملك الحميري شمر يهرعش سفارة أخرى إلى مالك بن كعب ملك الأسد (نقش شرف الدين ٣١). وهكذا نعرف اليوم اسم ملكين من قبيلة الأسد وهما: الحارث بن كعب ومالك بن كعب. ومن غير المحتمل أنهم كانا أشقاء لأنه تفصل بين النقشين ما بين 50 و 70 سنة.

الجدير بالذكر هنا أن هشام ابن الكلبي في كتابه نسب معد واليمن ذكر نسب مالك بن كعب بن عبد الله بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، وهنا مالك هو الحفيد الأصغر للحارث بن كعب. إذا كان هذا التسلسل النسبي منطقي ومتناسب زمنياً، ولكن ربطه بمعطيات القرنين الثالث والرابع الميلادي أمر مشكوك فيه.

لقد عززت قبيلة الأسد خلال القرن الثالث الميلادي صداقتها مع مملكة سبأ ومع حليفاتها مملكة حضرموت. ولم يدم طويلاً هذا التقارب الوثيق بين الأسد/الأزد وسبأ وحضرموت بعد ضم المملكتين الأخيرتين من قبل مملكة حمير في عهد شمر يهرعش، إذ أرسل سفارة ناجحة إلى ملك الأسد (٣٠٠-٣١٢ م)، وبعد ستة عقود قام الحميريون واليزينيون حملة عسكرية ضد الفصائل القبلية التابعة إلى قبيلة الأسد عام 360 الميلادي، المذكورة في نقش عبدان (Abadān 1/16). وهذا هو آخر نص تاريخي مباشر لقبيلة الأسد/الأزد. فمنذ هذا التاريخ سكنت النقوش والمصادر التاريخية المباشرة حول قبيلة الأسد/الأزد وغاب ذكرها بشكل كامل. ويرى بعض الباحثين بأنه ليس من المستبعد أن تكون عبارة "سدة عمن" يقصد فيها "أعيان عمان" المذكورة في نقش حميري مكسور (CIH 596 + 597) من القرن الخامس الميلادي من عهد الملك الحميري مرثد ألان ينف (Gajda 2009 : 213-214).

في الواقع لا نعرف ما إذا كانت قبيلة الأزد/الأسد قد اندمجت ضمن كيانات قبلية عربية أخرى أو هجرت من مكان استيطانها في سرة أزد إلى العراق ثم إلى شبه جزيرة عمان، ذلك بعد هزيمتها على يد حمير في القرن الرابع للميلاد هرباً من الخضوع إلى حمير، كما هو الحال لقبيلة غسان حيث هجرت من الحجاز إلى بلاد الشام، وهذا ما تسرده كل المصادر العربية ولكن ضمن حوادث نسجها الاخباريون العرب والعُمانيون مرتبطة بانهيـار سد مأرب الذي دفع قبيلة الأزد إلى الرحيل من تهامة إلى العراق ثم إلى شبه جزيرة عمان وذلك بهدف طرد الفرس منها.

نود التذكير هنا بأن هجرة قبيلة الأزد من عسير إلى شرق جزيرة العرب والعراق في وقت ما في القرن الرابع-الخامس الميلادي ليس غريباً ولا مستبعداً، ولكن ليس له علاقة لا من قريب ولا من بعيد بقصة هجرات القبائل العربية من اليمن ومنها الأزد التي حسب المصادر العربية تبعت انهيار سد مأرب في اليمن القديم، الذي تم ترميمه في عهد أبرهة الحبشي أواسط القرن السادس الميلادي، أي قبيل الإسلام، في الوقت الذي كانت فيه حمير تتنازع مع فارس للسيطرة على شرق جزيرة العرب، وكما ذكرنا أعلاه لم تكن منازل قبيلة الأزد في اليمن بل في عسير تهامة وكان لها علاقات متينة مع مملكتي سبأ وحضرموت في القرن الثالث للميلاد. من ناحية أخرى، أظهرت الحفريات الأثرية في موقع قلعات، المدينة الساحلية التي خيم فيها مالك بن فهم الأزد مع قواته تأهباً لمواجهة جيوش فارس (العوتبي، ج٢، ص ٦٧٨-٦٩٣ — 2017 : 11-20 ; Amaldi 2015)، بأن هذه المدينة الإسلامية لا يوجد لها أي أثر قبل الإسلام، فأقدم ذكر لها في المصادر العربية يعود إلى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي (Rougeulle 2023)، وهذا يزيد الغموض والشك حول مصداقية أحداث ملحمة مالك بن فهم وطرده الفرس من عمان .

خاتمة

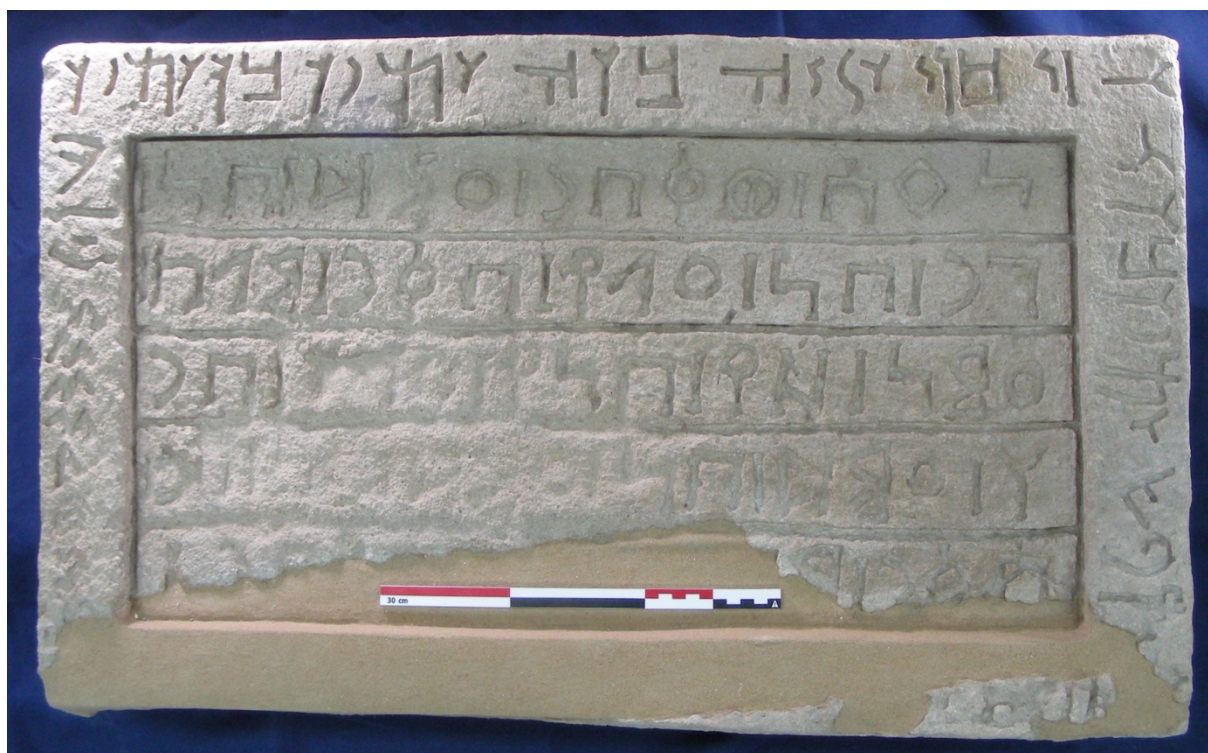
بالرغم من وجود نقوش عربية جنوبية مؤرخة تسدل الستار عن تاريخ قبيلة الأزدي وعن منازلها في عسير تهامة (القرن الأول-الرابع الميلادي)، وبالرغم من فقدان الأدلة التاريخية لما تناقلته كتب الأخبار حول ملحمة مالك بن فهم البطولية في طرد الفرس من عمان، يبقى اليوم اسم مالك بن فهم الأزدي راسخاً في ذاكرة تاريخ عمان قبل الإسلام ورمزاً من رموز الهوية الثقافية والتاريخية في سلطنة عمان (الخروصي، ٢٠٠٦).

المراجع

- البرطمانية، مريم بنت سعيد بنت مبارك، آل الجلندي ودورهم في التاريخ العماني. دراسة تاريخية. جامعة السلطان قابوس - دائرة النشر العلمي والتواصل، ط ١، ٢٠١٥.
- تاجر يوناني مجهول، الطواف حول البحر الأريثري. الملاحة والتجارة في المحيط الهندي بالقرن الأول للميلاد، ترجمة عن الانكليزية د. أحمد أيبش، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، كلمة، ٢٠١٤.
- الجمهوري، ناصر سعيد علي، أماط الاستيطان والتطور والتغير الحضاري في شمال شبه الجزيرة العمانية، وزارة التراث والسياحة، سلطنة عمان، مسقط، ط ١، ٢٠٢١ م.
- الخروصي، خالد بن سليمان بن سالم، قائد من التاريخ العماني مالك بن فهم الأزدي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط ١، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.
- السعيد، سعيد فايز، مدونة نقوش شرق الجزيرة العربية القديمة "الحسانية". كلية السياحة والآثار - جامعة الملك سعود، دار جامعة الملك سعود للنشر، الرياض، ١٤٤٠ هـ / ٢٠١٩ م.
- السبياني، سالم بن حمود، إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، المكتبة الإسلامية، ١٩٦٤.
- صراي، حمد بن محمد، عمان من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي. مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت - أبو ظبي، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
- صراي، حمد بن محمد، "تاريخ عمان ما قبل الإسلام في المصادر العربية الإسلامية. رؤية نقدية تحليلية"، التاريخ العماني قراءات وتحليلات، جمع وتحرير محمد بن حمد الشعيلى، دار الفرق، دمشق، ٢٠١٥، ص ١٠٩-١٦٢.
- عربش، منير، وشيتيكات، جيريمي، الأصداء الأولى لحملة أليوس جالوس الرومانية على جنوب جزيرة العرب في النقوش العربية الجنوبية، جزيرة العرب في المصادر التاريخية، ٢٠٢٠، ص ٨٥-١٢٢.
- عربش، منير، وشيتيكات، جيريمي، جزيرة العرب في القرن الثالث الميلادي على ضوء النقوش العربية الجنوبية، المركز الفرنسي للأبحاث في شبه الجزيرة العربية، الكويت - وزارة الثقافة والرياضة والشباب، مسقط، سلطنة عمان، ٢٠٢٤.
- العوتبي، ابي المنذر سلمة بن مسلم الصحاري، الأنساب، تحقيق د. محمد إحسان النص، جزآن، ط ٥، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ٢٠١٦.
- كلوزيو، سيرج، وتوزي، موريديو، في طلال الاسلاف. مرتكزات الحضارة العربية القديمة في عمان. ترجمة أ.د. عباس سيد أحمد محمد علي، مراجعة النص الانكليزي أ.د. أدريان روسكو، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ٢٠٠٧.

BIBLIOGRAPHY

- AL-SA'ID, S.F., "The kingdom of Dākir, 'Amīr, and Muha'mir in the light of a new inscription from al-Fāw, Saudi Arabia", *ZORA* 11, 2018, p. 404–411.
- AMALDI, D. "Salut in *Kitāb al-ansāb* », in A. Avanzini (Ed.), *In the heart of Oman. The castle of Salut*. "L'Erma" di Bretschneider, Roma, 2015, p. 11-20.
—, *The origins of the history of Oman. The Kitāb al-ansāb by al-'Awtabī*. "L'Erma" di Bretschneider, Roma, 2017.
- AVANZINI, A., *Eastern Arabia in the First Millennium BC*. (Arabia Antica, 6), "L'Erma" di Bretschneider, 2010, Roma.
- —, *Sumhuram: The becoming of the Town: Khor Rori Report 4*. (Arabia Antica 16), "L'Erma" di Bretschneider, 2019, Roma.
- AVANZINI, A., DEGLI ESPOSTI, M. (Eds.). *Husn Salut and the Iron Age of South East Arabia. Excavations of the Italian Mission to Oman 2004-2014*. "L'Erma" di Bretschneider, Roma, 2018.
- CLEUZIOU, S. & TOSI, S., *In the Shadow of the Ancestors. The Prehistoric Foundations of the Early Arabian Civilization in Oman*. Second expanded edition. Ministry of Heritage and Culture, Sultanate of Oman, 2018.
- Gajda, I., *Le royaume de Ḥimyar à l'époque monothéiste* (Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-lettres, 40), Paris, 2009.
- LOMBARDI, A., "From Magan to Qade", in A. Avanzini (Ed.), *In the heart of Oman. The castle of Salut*. "Ancient Oman 1", "L'Erma" di Bretschneider, Roma, 2015, p. 21-34.
- MACDONALD, M.C.A., "The 'Abiel' Coins of Eastern Arabia: A Study of the Aramaic Legends", Pages 401–547, in Huth, M. & van Alfen, P.G. (eds.), *Coinage of the Caravan Kingdoms. Studies in the Monetization of Ancient Arabia*. (Numismatic Studies, 25). New York: American Numismatic Society, 2010.
- MOUTON, M. & SCHIETTECATTE, J., *In the Desert Margins. The settlement process in ancient South and east Arabia*. "L'Erma" di Bretschneider, Roma, 2014.
- OVERLAET, B., MACDONALD, M. & STEIN, P. "An Aramaic–Hasaitic bilingual inscription from a monumental tomb at Mleiha, Sharjah, UAE" *AAE* 27, 2016, p. 127-142.
- PRIOLETTA, A. & ARBACH, M., « Ḥimyar en Arabie déserte au V^e siècle de l'ère chrétienne : une nouvelle inscription historique du site de Ma'sal al-Jumh (Arabie saoudite) », *Académie des Inscriptions & Belles-Lettres, comptes rendus de l'année 2016*, p. 917-954.
- ROUGEULLE, A., *Qalhat, a medieval port city of Oman. From a field ruins to UNESCO*. Ministry of Heritage and Tourism – Sultanate of Oman, 2023.
- SCHIETTECATTE, J. & ARBACH, M. « The political map of Arabia and Middle East in the third century AD revealed by a Sabaeen inscription », *AAE* 27/2, 2016, p. 176-196.
- ULRICH, B., *Arabs in the early Islamic empire. Exploring al-Azd tribal identity*. Edinburgh: Edinburgh University Press, 2019.



شاهد قبري بالخطين المسند والآرامي مؤرخ صاحبه مفتش لدى ملك عمان (٢٢٢-٢٢١ ق.م.).

(Overlaet et al. 2016)